



# آفاق الجمال

محمد أحمد الراشد

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة  
لدار المحراب للنشر والتوزيع  
فان كوفر / كندا / زيورخ / سويسرا

...

الطبعة الأولى  
٢٠٠٢ / ٥١٤٢٢ م

...

"إن جميع حقوق طبع الرسالة أو ترجمتها أو تصويرها أو إيداعها  
تحت اسم الأديب المدمجة أو تضمينها مواقع الانترنت محفوظة لدار  
المحراب للنشر والتوزيع ، وأصبح اسم محمد أحمد الراشد متمتعاً  
بحقوق الملكية الفكرية ومسجلاً في المنظمات الدولية"

مكتبة دار المحراب للنشر والتوزيع

...

"لوحة الغلاف الفنية اقتراها يد المؤلف"

## أَفَاقُ الْجَمَالِ

بِجَمَالِهَا

الله تعالى رحيم ، ووزع بين المخلوقات أثراً قليلاً من رحمته ، فهي بها تتراحم ، حتى لتبتعد الفرسُ حافرها عن وليدها لئلا يتأذى ، بدافع تلك الرحمة ، فإن الله جميل سبحانه ، يحب الجمال ، وفي النفس الإنسانية أثر من ذلك ، فهي تعشق الحسن واللطائف والألوان ، وتستروح للمنظر المتناسب ، والشيء المقدر الموزون ، وتنفر من الفوضى ، والصخب ، ومنكرات الأشكال ، وما خرج عن الاستقامة ، حتى جعل الله تعالى من أعظم المنن التي امتن بها علينا : إتاحة الاستمتاع بالجمال فقال : { وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا بَفَاءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ \* وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ . } (النحل: ٦/٥) .

□ قال القرطبي : ( وجمال الأنعام والدواب من جمال خلقه ، وهو مرني بالأبصار موافق للبصائر . ومن جمالها كثرتها وقول الناس إذا رأوها : هذه نعمة فلان .

قال السدي . ولأنها إذا راحت : توفرت حسننها وعظم شأنها وتعلقت القلوب بها ، لأنها إذ ذاك أعظم ما تكون أسنمة وضروعا . قاله قتادة .

ولهذا المعنى تقدم الرواح على السراح ، لتكامل نرها وسرور النفس بها إذ ذاك ، والله أعلم .

وروى أشهب عن مالك قال : يقول الله عز وجل { وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ } وذلك في المواشي حين تروح إلى المرعى وتسرح عليه ، والرواح رجوعها بالعشي من المرعى ، والسراح بالغداة ، تقول : سَرَحْتُ الْإِبِلَ أَسْرَحَهَا سَرْحًا وَسَرُوحًا : إذا غدوت بها إلى المرعى فخليتها . وسَرَحْتُ هِيَ ، المتعدي واللازم واحد (١) .

(١) تفسير القرطبي ٤٨/١٠ .

ومن هذا الجمال في الخلقة قوله تعالى من بعد : { وَأَخْيَلٌ وَالْبِغَالُ  
وَالْحَمِيرُ لِيُرْكَبُوهَا وَزِينَةٌ مَا لَا تَعْلَمُونَ } ( النحل: ٨ ) .  
قال القرطبي ( والزينة : ما يُتَّزَنُ به ، وهذا الجمال والتزيين وإن كان  
من متاع الدنيا فقد أُنزِلَ سبحانه لعباده فيه . )<sup>(٢)</sup>

ومن هذا الجمال الحلية المذكورة في قوله تعالى { وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ  
الْبَحْرَ لِيَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتُسَخَّرَ جَوَاهِرٌ مِنْهُ جَويَةً تَلْبَسُونَهَا } (النحل: ١٤) .

قال القرطبي : ( فالحلية حق ، وهي نحلة الله تعالى لأدم وولده ) ثم  
قال : ( امتن الله سبحانه على الرجال والنساء امتناناً عاماً بما يخرج من  
البحر ، فلا يحرم عليهم شيء منه ، وإنما حرم الله تعالى على الرجال  
الذهب والحريير . ) ( وجمهور العلماء من السلف والخلف على تحريم  
اتخاذ الرجال خاتم للذهب )<sup>(٣)</sup> .

وماذا أصنع بالذهب إذا كان يُتَّاح لي أن أنظر إلى أجمل ما خلق الله  
على وجه الأرض : الجواد العربي الأصيل !!

هذا المخلوق المتناسق الخفيف الحركة ، وبخاصة إذا كان قاتم السواد  
أو ناصع البياض ، هو عنوان الجمال ، ورمز الجهاد ، حتى ليكاد حُبُّه أن  
يكون سُنَّةً إسلامية ودليلاً على نقاء الفطرة .

□ لذلك تنصرف التربية الدعوية في طورها الاستراكي المجدد أول ما  
تنصرف إلى إتقان الفروسية ، وترويض عشق الخيل ، والغرام بها ، كلما  
كان ذلك ممكناً ، فبته الولك التلاد الطريف ، وختَمَها حديث " الخيل  
معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة " ، بختم الإيمان ، فمن لم يحز :  
فمقارِباً ، وناظر ، يستعير الخير ، ويتصدى ، يتعرض لرجاء لعل  
وعسى ، فإن التشبّه بالكرام جميل ، وفي ذلك نقل الشاب المسلم الصاعد  
إلى ميدان الرجولة ، والعزة ، في وقت يكون فيه من لوازم التطبيع  
ترويض الميوعة .

وهل في الوجود أروع وأبهى من لوحة فنية واقعية حية ، تنتظر فيها  
إلى فارس على ظهر جواد يسبح في الأفق تظله الراية الخضراء ومن

(٢) تفسيره ٥٣/١٠

(٣) تفسيره ٥/١٠

خلفه شمسٌ حمراء عند بزوغها أو بدرٌ تمامٌ أول ارتقاعه ، ووميض السيف يلمع يدعو لالتحاق ؟

أغضض عينك هنيهة ، ثم تخيل ذلك ، فسترجع جازماً أن تلك الحركات هي الجمال الأكدر ، وأنها متعة الحياة حقاً .

### □ نحن في حِصن الجمال

وما كان أكدر منها إلا جمالاً فاتناً أن نستمتع به ، وإنما استمتع به الصحابة رضي الله عنهم ، فقط ، وهو جمال النبي صلى الله عليه وسلم ، وطلعت المنيرة البهية ، فقد اجتمعت معاني الجمال كلها فيه ، وفي وصف ابن حجر أنه :  
( كان على أكمل الصفات خلقاً وخلقاً ، فهو كل الكمال ، وجبل للجلال ، وجملة الجمال ، عليه أفضل الصلاة والسلام . )<sup>(٤)</sup>

لكن إن حُرِّم التابعون ومن بعدهم من نعمة النظر إلى وجهه الكريم ، فإنهم بإيمانهم قد عوضوا روحاً صافية وقلباً ساكناً وسيراً تغمره الطمأنينة ، فهم بذلك في إطلالة دائمة على آفاق الجمال الممتدة التي أنشأها الله تعالى ، وقد أتاهم ربهم ألباباً متوقدة تكشف عن جمال كامن في كل شيء لا يراه غافل من أهل المعاصي ، فهم في لذة من ذلك على طول المدى ، وتسبيح .

الم تتنبه كيف أن ( الماء الذي من شأنه الرسوب يصعد بقدرة الله الواحد علام الغيوب من أسافل الشجرة إلى أعاليها ، حتى إذا انتهى إلى آخرها نشأ فيها أوراقٌ ليست من جنسها ، وثمر خارج ، من صفته : الجرم الوافر ، واللون الزاهر ، والجنى الجديد ، والطعم اللذيذ ؟ فأين الطبائع وأجناسها ، وأين الفلاسفة وأناسها ؟

هل في قدرة الطبيعة أن تتقن هذا الإتقان ، أو ترتب هذا الترتيب العجيب !

كلا ! لا يتم ذلك في العقول إلا لحي عالم قدير مُريد ، فسبحان من له في كل شيء آية ونهاية ! )<sup>(٥)</sup>

{ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرًا وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ { (الأنعام: ١٤١) .

(٤) فتح الباري ١٢٠/٥ .

(٥) للقرطبي في تفسيره ٦٥/٧ .

ثم هذا المنظر اليومي المتكرر الذي ينام عنه الغافلون الذين حُرِّموا  
 نعمة الصلاة ، ولا يراه إلا المؤمن يصلي الفجر إذ غيره يغطي في فقره القلبي :  
 منظر طلوع الفجر ، وتسييح الأطيَّار ، وبزوغ الشمس : كم هو أسر ، وقد  
 اجتمعت أسرار الجمال فيه ، فتأخذ تسيح وتتشد مع شاعر العراق  
 الرصافي .....

ويومٌ به استيقظتُ من هجة الكرى  
 وقد قَدَّ يرغ الليل صمصامة الفجر  
 فأطربني والديكُ مُشج صياحه  
 ترثمُ عصفور يزقزق في وكر  
 وقد طلعتْ شمس النهار بهيجة  
 رويداً رويداً في غلائلها الحمر  
 غدت ترسلُ الأنوار حتى كأنها  
 تُسيل على وجه الثرى ذائب التبر  
 إلى أن جلت في نورها رونق الضحى  
 صقيلاً وفي بحر الفضاء غدت تجري  
 وأهدت حياة في الشعاع جديدة  
 إلى حيوان الأرض والنبت والزهر  
 فقلت مشيراً نحوها بحفاوة  
 ألا إن هذا الشعر من أبداع الشعر (٦)

وهذه الرؤية الجمالية لانهائية لها عند من يملك الحس المرهف ورقاق  
 العواطف ، وتنتقل به نشوته فوراً إلى قصة أخرى مع البدر واستمتاع  
 بمنظر جبال ، تريد أن تشمخ ، لكن هيبتها من خالقها تجعلها تنتصب على  
 استحياء ، فيتوارى بعضها خلف بعض ، لكن السحاب يعلوها بفضول ،  
 يبغي التعرف على سير جمالها ، فتصيبه الشمس التي غابت من قريب  
 بسهامها ، فيتضامخ ببعض دم أحمر ، فيثير جماله فضول المرج  
 الأخضر ، فتكون متوالية الجمال الحُر يتأملها الإنسان الأسير ، أسير  
 الجمال ، فينطق قلبه بتسييح متجدد لرب قدير ، وتلك هي لوحة الغلاف .

□ وفي كتابان الرمال خبر متمم ، حين تمتد تآبي التلاشي ، تشير إلى  
 اللانهائية ، كأنها ، في حرّ لاهب يتيح لشعور العزة أن يعمر ، فيغمر بدوياً

عند الدهناء ، أو جنوب الجزائر ، أو أعالي الصين ، فتتضم معاني جمال المسرح الفسيح الى العفوية والزهد في الحيازة والتملك والنبث في مكان محصور ، فيضحى أستاذًا في تعليم الحرية ، ويرى المالك فوقه سبحانه كبيراً إذ هو وجماله ليس غير نقطة صغيرة في بحر الكثنان الواسع ، فيخبت ، ويكون داعية لإدعان .

□ ويظل تبادل المعاني بين الانسان ومحيطه يتجدد في صور أخرى ، وماصياد في البحر بأقل استلهاما لجمال أمواجه ، ثم الماشي بين الزهور والفرشات أسرع إقراراً بقدرة الصانع الخلاق ، وللسماء في الليل هيبه ورهبة إذا رأيتها بعيداً عن المدن ، وألوان القوس الزاهية إذا مطرت وامتلاً للجو رطوبة ، ليس أجمل منها غير الشفق القطبي في قول من رآه .

□ وكل هذا التجانس مع المنظر الجميل ، والعواطف المتولدة منه ، وانفتاح النفس الذي ينقلها الى السكينة : مغزى تربوي وضعه الله بين يدي الداعية ، ينبغي ان لايعرض عنه ، بل يهذب نفسه عبر التأمل فيه وطول النظر الى أشكاله ، حتى إذا امتلاً وغمره إحساس الجمال : استزاد من جمال الهندسة الخلقية ، التي يسمونها : الطبيعية ، فنظر إلى البلورات ، ورأى أضلاعها الكثيرة ، ومثلثاتها المتناظرة ، ولمعات الضوء إذا عكسته ، وبلورات الثلج في تسعيتها الممتى .

□ واستدارة البدر وقرص الشمس جزء من هذه الهندسة ، تغرس في اللاشعور كل مقاييس الكرة عبر طول التأمل ، من ثبات البعد بين المركز والمحيط بخاصة ، وتدرج الظل على السطح ، واستتارة النصف المواجه للضوء وإظلام المخفي ، ثم الهالة تبدي الإعجاز الرياضي في تضاعف الحجم ثمان مراتٍ بمضاعفة نصف القطر مرة ، بمعنى تضاعف الحجم ٥١٢ مرة عند المضاعفة الثالثة لنصف قطر كان أصله وحدة قياس واحدة وهذا لوحده درس للإنسان المفكر يدربه على السيطرة على الحياة في مساحتها العظيمة وعرضاتها الممتدة من خلال السيطرة على رقعتها المركزية والكتلة البورية ، فيرجع المخطط بخير أمل يقين لقننه إياه الجمال .

□ لكن تبقى الذرة أعجب ، لأنها كرة مفعمة بالحركات والدوران ونبضات الطاقة ، ثم هي متصاعدة في مكوناتها ومداراتها ، ويزيدها

الأكثر من المفرد القلق في المدار الأخير قشعريرة ، فكانها توحى بمعنى من الخشية يلزم أن تتطلى به علاقات الحياة يعادل الرجاء .

□ إنما أعجب منها : جسم الانسان المتوازن ، وكفى إظهاراً للإبداع قوله تعالى : { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَن تَقْوِيمٍ } ، فالأعضاء والأجهزة والقلب والوجه : كلها في تجانس في مكانها من الجسد ، وفي أداؤها ، وتكاملها وتعاضدها ، وأعجب منها : جمهرة العواطف التي أودعت في هذا الكيان الفريد وانتقالها في لحظة من حال إلى حال ، بأمر الله ، فبأنه هو الذي يقول : { وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى } (٧) إشارة إلى هذه العجيبة العاطفية ، فلما تنحدر نحو الودّ والحُب : فحينئذ يكون الجمال ، وتكون صدأه الإيجابية في الروح معالم تربوية لمن أراد أن يذكر أو ينتفض أو يخشى ، فإن معشوقته عادة هيفاء سماها حبيبها : حرية ، صورتها في شعوره أنها حورية ، امتلاً يقيناً أنها إن سقطت : ضمتها إليها ، إذا شاء الله .  
القرآن .

### □ جماليات الموازين

□ لكن أعجب من ذلك : كُتلة العقل إذا اتقد فومض ، فتم حشد من المعايير يترجمها المعماري إلى أبعاد وزوايا ، وانطلاق يأبى الحصر ، واقتراب بعد النشر ، فنصاغ في عقل الرائي المتعلم مقاييس الحياة كلها ، فكما بُعدت أفاق الحساب بصفر وتسعة أرقام : تمتد لمعات الفكر بعشرة أحرف ، تمتزج وتتوالى وتتقدم وتتأخر فتكون ملحمة المنهجية الواعية .

● حرفها الأول : التناظر بين شاخصين ، عمودين أو ركنين أو شطرين أو رواقين أو جدارين أو عمارتين وانعكاس ذلك في صورة استقرار يرفض الفجائية والنشاز .

● يعضده التعادل : وهو منه قريب ، قرب الصاد من السين ، وبه تدرك ميزان الوجهتين ، والطولين ، والعرضيين ، والمساحتين .

● وفي التناسب إتمام ، وبه تدرك نسبة الحجمين ، وكم يجب أن يكون صغر الصغير وكبر الكبير إذا تجاوزا أو تتأليا .

● ثم التدرج ، لضبط النقليات ، ونفي الصدمة .

(٧) سورة النجم ٤٣ .



- والتوازي ، لتحقيق الربط ، والتبعية ، ووحدة التحرك .
  - والتوازن يمنح الثبات وعمق الارتكاز .
  - وفي التكامل إلغاء العفوية ، والإرتجال ، وتحقيق لمعنى الشمول ، والاستقصاء ، والإحاطة ، فالذي في الساحة من مفردات محكوم بعلاقات بيئية ، وروابط متبادلة تنتج كلاً متجانساً .
  - لكنّ بضدها تتميز الأشياء ، ومثلما هناك اجتماع تثرئه المعايير : هناك افتراق ، ونشر من بعد ضم ، وتوزع يعقب التقارب ، ولا بد أن تسيطر على هذا الافتراق قوانين توزعه على المحيط تمنع التناثر العشوائي .
  - وذلك يُبدي أن التباين ضرورة تستدعيها الحركة ، ولولاها يكون الجمود والسكون ، فلا تَمْطِيّة ، ولا وحدة مستغنية ، بل مفارقات الألوان والأشكال لازمة ، فالخط الأسود في الكتلة البيضاء فيه إعلان مولدهما معا ، إذ الأسود إذا فشا أشعر بحزن وانغلاق ، والأبيض إذا استطردهام وحصل انفلات ، لكن السوار بأسر .
  - وينضبط ذلك بميزان المركزية ، فإنها تضمن المرجعية ، فالناظر إذا ابتعد يظل يحن إليها ، والهاجر إذا انزوى يبقى مستحياً منها ، مثلما يحترمها القريب فلا يتناول ولا يُعرض ، ويُنبها كل شاخص مستقل في المدينة أو في البناء الواحد أن تحقق التنسيق بينه وبين المجموعة .
- فهذه الموازين المعمارية الجمالية العشرة تظل تطبع نفسها في لا شعور المؤمن المتعامل معها حتى تستوي " منطقاً " رفيعاً يضبط قول وفعل المستوعب لها ، وتغدو مورداً تربوياً تتألق به شخصية الداعية إذا نطق ، وإذا فكر ، وإذا أشار ، وإذا تحرك ، وإذا أحب وإذا أبغض ، فهو السوي الناضج الحكيم الفنان ، لأنه ربيب الجمال ..... وكفى .
- وأنا أعجب كيف يقسم الله الحظوظ والعقول والتربيّات مثل قسمته الأرزاق والأموال ، فشاب يوقه الله نحو باب الدعوة ، فتراه بعد موسم واحد وقد نُبِّل ورفل بإيحاءات الجمال فصار رزناً المعياً واسع الأفق رصين المنطق ، بما روي له وثرّب عليه من ميزان وتحليل ، وابن عمه شاب مثله أو همته رُفقة البطالة ، فليس يبلغ ظنه أبعد من صَنَب مع صحب لهوهم الصراخ والضجيج ونفث الدُخان ، ويكبر وهو لا يعلم حرفين ...!

بينما الرافل بموازين العمارة يتلقى كل يوم المزيد من انعكاسات الجمال في صور ايجابية عديدة ..

● في أخلاقه ، فتراه الوقور المعتدل الدائر مع الزين والوسطية في شأنه كله ، فلا مبالغة ولا شذوذ ولا تطرف ، بل هو السمع المتمد ، الودود البسام .

● وفي عزمه المستمر ورواه الممتدة ، فهو مخطط هادف تضبط حركته وسكونه مناهج ومقادير ونسبيات ومنطلقات مركزية .

● وفي أدائه وتنفيذه ، فهو متدرج ، يتوازي مع معطيات الواقع ، وتلقنه الجماعية التكاملي مع غيره .

● وفي تفكيره ورأيه ، فهو مجتهد يركب متن الإبداع ، وتعاف نفسه التقليد والمحاكاة ، والاجتهاد أفضل حالات الفكر ، والكبوة لازمة ، لكنها لا تضر ، لأنها كبحة السائر إذا عجل ، لا عثرة الملتفت الغافل ، ثم القواعد الأصولية ترعاه أن يشطح .

### □ في الحرف والرمز والتجريد ..... هوية وتفقيه سديد

□ فلما ذاق جيل الحضارة الإسلامية الأول هذه المنح : دعوا للتوغل ومزيد ، ففتح ابن النّواب ببغداد الباب ، وثنى بالكوفة رجال فطوروا مابداه سلف لهم ، فكان الخط العربي مورداً ثالثاً لإشباع النفس الإيمانية بالمعاني الفنية وضبط أدائها بمقاييس الجمال .

□ والتطوير المعاصر الذي طرأ عليه باستعمال الحرف ضمن معطيات الفن التشكيلي يفتح المجال لنقلة جمالية واسعة ، ماتوفر منها اليوم - وهو كثير - ليس إلا مقدمات وأمثلة ، ويمكن أن تتأسس مدرسة خاصة من ذلك ستطبع الحياة الإسلامية عامة بطابعها الخاص ، وأنا مع هذا التوجه الحر ، ولست مع الخطاطين الأصوليين في تشنجهم الذي يمنع هذه الاستعارات ، والفرصة المتاحة في مثل هذا النوع من استعمال درجات الألوان كلها في الحرف نفسه أوفي الخلفية المبرزة له تضاعف كمية الجمال وتمنح الفنان مجالاً واسعاً للإبداع ، وفي هذه الأيام تمتاز الثقافات ، وهناك تخوف من أن تطفئ ثقافة القوي الغريب على قطاع من أناس أمنا الإسلامية فيهم ضعف وقابلية للتأثر بالذوق الهاجم ، ويلزمن أن نعد وسائل حماية الشخصية الإسلامية العامة ، التي هي ضرورة من ضرورات عصر

صراع الحضارات الذي يقود الغربُ الفكر الصراعي فيه ، ومدرسة استعمال الحرف العربي في الفن التشكيلي وسيلة من هذه الوسائل جزماً ، ولها إملاء نفسي في دواخل المسلم الناظر ، وصدى ، وإذا شاعت في الشوارع و القاعات العامة واستخدمها المعماري بنجاح في أبنيته ومدخلها فإنها ستؤثر حتماً في لاشعور المارة والمتعاملين وجمهور المستخدمين لتلك الأبنية ، وتكون " فناً واعظاً " يحفظ شخصية المسلم واستقلاليتَه يردف كلام الخطيب الواعظ وأشعاره ، ونحن كدعاة بحاجة إلى وعي أهمية هذا المدرك من مدارك التربية الجماهيرية التي هي مقدمة للتربية الإسلامية التخصصية التي تسبق التربية الدعوية ، فلو لا أمن بذلك رجعي ووعي . وأما الخط العربي الأصيل في شكله الموروث فأنا من عشاقه ولست فيه من الزاهدين ، وجعلني طول النظر إليه " نواقاة " ونافداً ، وهو أحد مُتَع الحياة ، وما أراه سيُتضرر من مدرسة استعمال الحرف ، بل سيبقى مورداً جمالياً متميزاً ، وهو الذي يتكفل بتحريك قابلية الإبداع في رجال مدرسة الحرف .

□ والزخرفة الإسلامية مورد آخر ، وقد تداولتها كل الحضارات ، ولكن الحضارة الإسلامية ركزت عليها وتوسعت فيها فحصل إبداع في أشكالها ، ويذهب بعض النقاد إلى أن تكرر وحداتها المتماثلة إلى ما لا نهاية يشير إلى معنى توحيد الله ، وأرى ذلك استعارة فلسفية لا يألؤها الكلام العقيدي ، ولكن أولى أن يُقال : إن تكررهما اللانهائي يفتح النفس ويذهب بها إلى أفاق بعيدة فتسكن وتطمئن ، فيتحرك في داخلها المنطق الفطري ، فتكتشف التوحيد ، ويساعد اللون الهادئ على ذلك فيما أرى ، وأما الألوان الفاقعة ففيها إزعاج تضطرب النفس معه ربما ، والزخرفة المفرغة التي تتكون من حدود خطوط النجوم والأشكال على خلفية واحدة أكثر إشعاراً بهذا الهدوء وأقرب إلى المذهب الايماني ، مما يكون في أعمال الجص وأعمال الخشب التي تستثمر اختلاف ألوان أنواع الخشب دون إضافة لون صبغي ، وقد نصل إلى تأثير فني رفيع إذا جعلنا مثل هذه الزخرفة خلفية وإطاراً لخط عربي رفيع المستوى تبذعه أناملُ أستاذ متقن ، والثالث منه بخاصة ، بما يتيح من تركيب وتداخل ، وألغات تشمخ واقفة ، تذكرك سيوف الجهاد تتكلى من أواسط نفر شجعان ضمهم صف الصلاة ، وعيون تبتهل وحاءات تفهم فقه السجود .

تسمو اللوحة المزسومة مورد فني إيماني خامس يُنبئتُ المعاني في أعماق  
 الخفوس بالإيحاء والتمثيل والتقريب ، لكن الإنسان يخدم نفسه أحياناً ،  
 فيأخذ بعيد الصورة التي رسمها ، أو يزعم أنها تقربه الى الله زلفى ، ولذلك  
 حَرَمَ الله تصوير ذي الروح من إنسان وحيوان ، ولما في ذلك من مضاهاة  
 ما خلق الله تعالى ، وأحرى بنا وأسئر لنا أن نخرج من الشك والشبهة الى  
 الحلال واليقين بأن لا تقترَف تصويرهما ، لكن ذلك لا يعني انغلاق باب  
 الاستفادة الإيمانية من التصوير ، فإن ماهو مقطوع الرأس جائز إن شاء  
 الله ، كما في فتوى أبي هريرة ؓ في صحيح البخاري ، فنصور اليد  
 والرجل والجزء من الجسد ، ثم ماهو أرحب من ذلك : التجريد ، بأن نشير  
 الى الإنسان عبر شكل مجرد ، من خط أو كتلة ليست فيها المضاهاة ،  
 وبذلك يفتح لنا مجال واسع من الإيماء الى المعنى بالرمز والإشارة  
 والإستعارة والتشبيه ، وهذا أسلوب شرعي مؤكد ، حلاله بين جزماً  
 لا يترك أي مجال لخرج أو وسوسة أبداً ، والدليل الشرعي فيه : الخط الذي  
 خطه النبي ﷺ داخل المربع وقوله : هذا الانسان ، وخط خطأ بعيداً رمزاً  
 للأمل ، فكانت لوحة حصر الأمل الواعظة بكل المعاني الرقاق وليس فيها  
 حرام .

وقد توسع الفن العالمي الحديث والمعاصر في استعارة هذه الإيماءات  
 التجريدية حتى اكتملت مدرسة تامة في الفن التجريدي هي الأظغى ربما  
 هذا اليوم ، وفي ظني أن شيوعها يمكن أن يكون تمهيداً جيداً يُنزل الأنواع  
 ويروضها ويُليئها لقبول مدرسة تجريدية إسلامية يبشر الدعاة عبرها  
 بالمعاني الخُرة كلها فيكون الفن لفكرنا رديفاً ، يوضحه ويروج له ،  
 ويُحدثُ بإخفاء بعض المعنى والإعلان عن بعض " دغدغات نفسية "   
 أدركها الرازي قبل تسعمائة سنة ويذهل عنها جيل الدعوة الحاضر فلا  
 يأتيها إلا قليلاً ، وأريد معي عشرة دعاة في كل قطر نتعاهد على توسيع  
 استعمال هذه السُنّة النبوية وللمسات التجريدية و تأسيس مذهب فني إيماني  
 جديد ليست حاجة اليذارة الدعوية إليه بأقل من حاجتها لكتب المفكرين  
 وإفتاءات الأصوليين ، ولناطرنّ للدعاة بذلك على تخوق الفن أطراً ،  
 ولنستلثهم من كل مفهوم عتيق سلا ، والفن الجاهلي يتلاعب بالناس اليوم ،  
 ولا يقتل أضراره غير فن إسلامي مقابل يزاحمه .

والرموز الإسلامية التي هي في الاستخدام الفعلي الناجح كثيرة ، وقد اعتادها المؤمنون ، و بذل الرواد الأوائل في ترويجها جهداً طيباً ، ويمكن أن تكون قاعدة لانطلاق عمل فني أوسع .

فمن هذه الرموز :

- الهلال ، حتى أضحي شعار الإسلام مُذ اختارته الدولة العثمانية ليبارقها ولمعت البوارق تحته .
- والبدر الكامل المستدير الأصفر الذي يومئ إلى التمام والوضوح والاستبشار والنفس المطمئنة بالإيمان .
- والشمس المتوهجة ، مكمّن الحرارة العاطفية ، ودليل انتهاء ليل المحن ، وعنوان جوازم الشرع ونور الفكر .
- والشمعة ، زميلة كل عالم ، ورمز الصبر على لأواء الكتابة التي لا يكفيها النهار الطويل حتى تستطرد مع الليل .
- والمحراب معتكف القانتين ومنزل الصالحين ، وفي تجويفه الأصم ينقطع الطريق على الشيطان أن يأتي مواجهة من أمام ، فيلتف يحاول الإنساس من جنب أو وراء .
- والمنبر ، رمز الإستعلاء والإستعلان ، الذي لا يعترف بمساررة واستخفاء ، بل يصدع ، ويجعل له وظيفة : تمكين صاحب الحق أن يصدح ، ثم هو إيحاء إلى الفكر المركزي الرسمي لجماعة المسلمين ، الذي لا يستبد به تلويل وإغراب وابتداع وتعطيل .
- والمنارة تنتصب تترجم الكبرياء ، ومنها تنطلق تحديات التكبير ، وتوصل صوت التوحيد وإعلان البراء إلى المدى الأقصى .
- وتحت القبة الضامة لقلوب المؤمنين في أكناف حنانها تلقين لأنصار الدين أن يقدموا الولاء ، لذلك كان المذهب الصحيح فيها أن تكون عريضة رحبة الاستدارة ، لأن رحمة الله واسعة ، ويخطئ من يضيق القباب ويغفل عن حقيقة احتضانها للذاكرين .
- والرحلة حلمة القرآن رمز آخر يُفصح عن إلحاق الوسيلة الطاهرة بالغاية الشريفة وتكاملهما .
- والقرآن وحده ، مفتوحاً أو مودعاً في غلافه : يشير الى كتلة الحق وتمييزها واستقلالها ، ومكانتها العزيزة التي تآبى الإختلاط .

والتفاني يأبى أن تكون المسيحة رمزا ، ولتمريرها وجه ، إذ الفن  
يقتل مالا تحتمل الأحكام والسُنن .

● والنافذة المزخرفة تقتزن بمعنى الإيمان جزماً ، لأنها جزء من  
المسجد ، أو جزء من بناء اسلامي ، فتشير بذلك الى الحضور الحضاري .

● أما النفير الجهادي : فالرأية تظل الجموع الزاحفة ، وقد تلوح رؤوس  
الحراب ، تلمع بين الروابي ، تقول للأم القلقة أن إن لم نعودا : هذي طريق  
الجدودا : هيا كرام للجهاد ، هيا ، هيا هيا هيا... هيا دعاء للعناد .

● لكن السيف يؤكد العزم ، و السيف المضمخ شاهد على ممارسة  
واستجابة ، وفيه وقع جميع حروف الحسام الفيصل الصارم ، بتار الخطأ ،  
وقاصم الأوهام .

● و السهام والقوس شعار القوة ، " الأ إن القوة الرمي " ، كما يقول  
النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي سرعة السهم إيماء الى سُنّة إمضاء القول  
الإيماني ونبرته الجازمة ، وإنكار الإبطاء والتَمريض والمشى على  
استحياء .

● وفي السُرس والدرقة إشارة الى الدفاع ، وأنا لانتعدي ، بل يُعندى  
علينا فنضطر لِنؤد ، ثم معنى الحذر والانتباه والأخذ بالأسباب الذي هو  
أصل في عقيدتنا ومعلم في وعينا في الزمن الحرج بخاصة ، فإن التريص  
بالمسلمين قد تجاوز الحد وظهر ثم إلحاح ، واجتمعت الأمم الضالة على  
أمة الهداية ، ويريدونه صراع حضارات ، ولن يكون الحذر صيحة  
عاطفية وأعمالاً تخريبية ثارية ، وإنما مشروعاً حضارياً شاملاً ، على  
بينة من أمر السياسة والإقتصاد والنفط والثقافة ، ثم الأجب ..... والفن  
الإيماني البديل .

هذه هي جمهرة الرموز الفنية الاسلامية ، وأظن أن لوحة " المنطلق "  
كانت استخداماً ناجحاً لعدد منها .

□ والفنان المسلم يمكنه أن يُزوج بين عدد من هذه الرموز لتشكيل معنى  
جامع تتعاضد مكوناته الجزئية في تكوينه ، كالجمع بين السيف والرأية ،  
والجمع بين المنبر والمحراب والنافذة ، ثم يخلط ذلك بكلمات إسلامية  
شعارية ، مثل الشهادتين ، والتكبير ، فيتولد من ذلك تشكيل لامحدود ،  
تزيده البراعة في استخدام درجات الألوان تنوعاً ، وإذا استعيرت له بعض

الوحدات الزخرفية : توسع المجال جداً ، ويضاعف التظليل المتدرج روح اللوحة .

□ كذلك يمكن مزج واقتران هذه الرموز الإسلامية برموز عامة أممية لأجد حرجاً في اقتباسها ، مثل القيد والسلسلة وقضبان الحديد في الإشارة إلى الظلم والمحن والكبت ، والكتاب المفتوح أو المغلق للإشارة إلى معنى العلم والمعرفيات ، وكذا للمحبرة والقلم والريشة ، ثم الدولاب الثرسى الحديدي إشارة للصناعة ، فهذه رموز حرة نفهم أن الإيمان فيها شريك .

□ وتعداد الرمز الواحد في اللوحة الواحدة مصدر إثراء للمعنى أحياناً ، واستعمال ظل الرمز ، أو درجات من أظلاله ، وكذا تبغيضه واستخدام نصفه أو ربعه ، فهذه تلاعبات يستطيع الفنان المبتكر أن ينطق بها الصامت ، ومثل ذلك أيضاً استخدم الدائرة والمثلث والمربع والأشكال الحرة ، والتكعيب بعامة .

وهذا يعني بقاء قابلية للترميز حرة يحركها الأبداع ، وأوضح مثل لذلك في الفن الإسلامي المعاصر لوحة " صناعة الحياة " واستعارتي لجملة من المعاني المؤثرة خارج جمهرة الرمز الإيماني المألوف ، واجتماع الباب الهرم والقفل القديم والعتبة المنفطرة وأثار الأقدام الحازمة مع الكتاب والنور ودولاب الصناعة .

□ وقد أضاف بيكاسو لمسات تجريدية يمكن استعارتها في الفن الإسلامي ، كمثل تغيير الوظيفة للدلالة على المفارقة وحصول الإنحراف والبلوى وانقلاب الموازين ، ويتمثل ذلك عنده في العين الحولاء بخاصة ، أو العين في غير مكانها ، أو العين المقلوبة أو الجاحظة أو الحمراء ، ورمز بيكاسو أيضاً للقوة بقرن ثور ، ولعلها القوة الطائشة ، ويمكننا أن نتبع مذهبه كله ، لننتقي ونأخذ وندع ، ونقلد ونبدع شيئاً من جنس ما اقتراف ، وهو انتقاء يمكن أن يستطرد ليفحص مذاهب فنانيين آخرين .

● فكل تضارب لوني ناجح هو مورد لنا ، وما زالت البقعة الحمراء في المحيط الأبيض الواسع أدل دليل بتضاربها ووضوحها على معنى النشاز والتميز والإفتراق والمباينة والطلاق والتنافر .

• ومثله التدرج اللوني الناجح المؤدي إلى سكينة الروح وهدوء الضمير ،  
وما في ثنايا ذلك من صلح وإصلاح وتناغم .

• والجزء من جسم الإنسان غير الرأس قد يكون وحدة تعبيرية تامة تؤدي مهمة الإبلاغ الكامل للمعنى ، مثل يد مكبلة تُدخَلُ في رُوع الناظر كل معنى الإرهاق والتقييد والعنوان وسلب الحقوق ومنع المشاركة وتقويت الإطلاق مع الأقران والرفرفة مع السرب ، أو رجل ترسّف في أثقال الحديد لامجال لها لنفرة جهادية ونقلة وحركة وهرولة في السباق لأن الصيف المتصف أراد لها الحصر وحجبها .

• ويمكن توظيف جمهرة من المعاني عبر حركات إنسان ننظر إلى قفاه ولا نرى وجهه ، أظهرها الإدبار والإعراض والتولي ، ومقارب ذلك من معاني النكوص السلبي ، أو الزهد والربا بالنفس عن مواطن الخنا والشبهة وما يوازي ذلك من أحاسيس الشمم الإيجابي ، واكتشف الفنان عبد القادر الريس في ذبي بُعداً بينياً فأوما إلى جوانب مُمن على المخدرات يستخفي خلف عمود حياءٍ وهرباً وحرّجا ، فاصطاد الإبداع بذلك من أطرافه واستوعبه وركزه في بقعة واحدة .

• وتندرج في هذا النسق والسياق الفني كل زاوية تشكل التقاء خطوط وتوالد أبعاد ، وهذا نظر لاحدود له يصنف في اللامتاهي ، ويكسب الظل والنور المشهد والزاوية حركة ، وما أكثر زوايا الجمال في التراثيات ، ويكاد يكون الانتباه لها وإحياء ما كمن فيها من روعة مذهباً فنياً إسلامياً معاصراً مستقلاً عن حديث الرمزيات ، وعبد القادر الريس أحد أمته ، ثم في كل بلدٍ مبدعٌ يستنطق أركان المساجد والقلاع والأسواق والرباطات والأسوار والأزقة ، وأبدع من جيل أساتذتي ببغداد في ذلك حافظ الدروبي وفاضل عباس ، ثم توسع الأمر ، فتعاقبت أجيال في العالم الإسلامي العريض ، وليس الذي منه في باكستان ، وإيران وتركيا وماليزيا واندونيسيا بأقل تفجيراً لمستقرات الوجدان مما يروج منه في أرض العرب ، والدعاة عن ذلك بمعزل ، وهم بحاجة إلى توبة من نمط التخلف وتعمير روابطهم بهؤلاء الفنانين وبينتاجهم ، لا كما فعل المرابي الرجعي في الكويت قديماً يوم أتاه أخي الفنان المبدع حامد ملا حسين سانلاً التريبة الدعوية ، وكان قد استوى عُوذُه الفني وأقيمت له معارض ورؤي له مستقبل واعد ، فنصحته أن يترك ما زعم أنه شغل الفضول ، وأثقله ، وأثف



فرصة الدعوة في الاستفادة من إبداعه ، ثم حاولتُ الاستدراك ، لكنني وصلت متأخراً بعد أن بردت الأحاسيس الفنية فيه ، ومددتُ يدي ، فكادت ، لكن أبعدته تلقينات الوهم .

### □ ومضة العدسة ورنّة الإزميل نُعلمنان الفكر الأصيل

□ ويستقيم النحت كمورد فني سادس من موارد الفن الإسلامي ، ونحت ذى الروح حرام في الشرع ، تضيقاً على الشرك أن يجد له إلينا مدخلا ، لكن يبقى النحت التجريدي الرمزي الحر دائراً في نوازل الحلال إن شاء الله ، وتبقى قوته التعبيرية ، بل هي قوة مضاعفة إذا طردنا مقياس الفخر الرازي في سر قوة المجاز من أن الجزء المستور من الشيء أدعى إلى أن يثير التطلع لمعرفة .

□ وتفرع عن النحت : تركيبات من الأشكال الهندسية المنظمة الحجمية ، التي تتكون من بينها علاقات لحدود لها ، مما يستعمل اليوم في تقاطعات الشوارع وجوانبها وأمام الأبنية وفي الحدائق العامة .

● فمن ذلك التناثر ثم الإلتئام بين مكعبات متعكسة بأحجام مختلفة ، أو كرات بأحجام منترجة ، أو أي شكل هندسي آخر تجتمع وحدات منه في تركيب واحد ويكون عنصر التحريك المعنوي فيه اختلاف الأحجام .

● أو الجمع بين الأنواع يكون هو عامل التحريك ، فهرم مع مكعب مع كرة مع أسطوانة في تشكيل واحد .

● أو يكون عامل التحريك القطع ، فالكرة ينثلم منها ثمنها مثلاً ، وكذا يُزال من المكعب ثمنه ، ويدخل نصف كرة في داخل الشكل الهرمي ويبقى نصفها الآخر خارجاً ، إلى ما لانهاية من التداخلات وتبادل المواضع .

● أو تشكيلات الخطوط المستقيمة ونقاطها وتشكيل مفصل بؤري منها ، ثم إعادة الحركة بانحنائها والتفافها .

● أو الإلتواء ثم التعاقب بين صفيحتين ، وتوازيهما وتساميها إلى أعلى في إشارة إلى المعاني الرفيعة العزيزة .

● والأشعة المثلثة المتوازية المتوالية في إظهار الإرتباط بالبحر .

● والقواعد العريضة التي تستدق في الأعلى لتحمل رمزا .

كل ذلك كان جميله عند النفس مقبولا ومُربيا لأعماق الشعور الظاهر واللاشعور الباطن .

□ لكن كل شكل مألوف من الأواني والألات يمكن أن يجتمع لإبلاغ معنى فيه بشارة أو نذارة .

● قعشرة جزار مثلا يتدفق منها الماء ترمز إلى الخصب والخير .

● وغاية من سيوف لامعة مائلة تحملها أكف تتكفل بإحياء فقه الجهاد ، وترمز الى مناقب سلف شجاع فتح البلاد وأرسى فيها التوحيد من بعد وثنية وشرك .

وأنت ولي إتمام المعاني واستنباط الرموز ، وإنما ضربنا لك الأمثال لتجتهد ، ولن ينفعك الاستطراد في وصف ما يمكن ، لأنه يخرجك إلى تقليد ، والفن يكرهه كمثل كراهة الشرع له .

□ وتفتح الكامرا مجالا واسعا لفن إسلامي سابع ، وقضية 'حكم الشرع في التصوير الفوتوغرافي قضية تجاوزها الزمن ، وإنما هي مثل نظر امرأة استدام وحفظه الفلم ، ويمكن تسميته " العكس " كما هو في اللغة الفارسية ، ليزول الإشكال ، وكان فضيلة الشيخ القدوة ابن عثيمين رحمه الله قد استدرك قبل موته وأفتى بحل التصوير وارتفاع الحرج ، وهو رأس العلماء ، وقوله يُنهي الجدل .

مصدر السعة يكمن في أننا نستطيع عبر الكامرا تصوير الانسان وكل ذي روح ، وبذلك يفتح مجال استنطاق جميع مشاهد الحياة لتفحص عما فيها من دروس ومعان وعبر إيمانية أو فطرية أو أى مغزى إيجابي يلتقي مع حقائق الإيمان ، وهنا تتدخل براعة الفنان في اختيار الزاوية التي يلتقط منها المشهد ، ودرجة الظل ، وتوزع الأشخاص أو الأشكال في المساحة ، ثم الاستعمال الجيد لأنواع مصافي الضوء ( الفلتر ) ، ثم تركيب صورة من صورتين أو أكثر ، وبرنامج الكمبيوتر يتيح للإبداع أن يظهر عبر تدرج الظل والتراكب والتصغير والتكبير ، وبخاصة عند استخدام برنامج الماكنتوش الذي هو أدق وأوفر في البدائل والإمكانات ، وبالإمكان إحداث

ثورة فنية إسلامية اليوم ننشرها عبر الانترنت والملصقات والمجلات  
تظاهر الثورة الفكرية الإيمانية المعاصرة وتعضدها ، فيكون العطاء  
التربوي لها في جمهور المسلمين مقدمة لتحوّل في الوجهة والموقف  
والأنواق والأخلاق ينقل الدعوة إلى مستقبل تفوقني حاسم باسم .

ليس تصوير الإنسان فقط ، بل في الحجر والأنوات والجوامد مواظ  
تكون قيمتها في أنها حقيقة ليست من تلاعبات يد الفنان وتغريرات  
الألوان ، مثل باب عتيق قد تقطر بعض لوحها أو انكسر تشكو آثار  
السنين ، وقل قديم ما عادت به طاقة لحراسة ومنع قد استنزف الصدا  
قوته ، أو اقواس رواق طويل في تتاليها ، أو حبة انفلقت عن خضرة في  
شق صخرة صلداً تؤكد رغبتها في الحياة وتحدى ، تنتظر رحمة الله  
تنزل إليها من السماء وإن جف المحيط .

فتلك سبعة روافد تجعلك فيما أظن ندياً .

وتلك هي قصة الفن إذا ركع ..... وسجد .

### □ بل كل الأفعال ..... ميزانها الجمال

لكن الإمام القرطبي يخبرنا أن علماء الأمة يذهبون في فهم الجمال إلى  
أبعد من تمثله بالخلقة وأفاق البر والبحر والبدر ، فيقول : ( قال علماؤنا :  
الجمال يكون في الصورة وتركيب الخلقة .

ويكون في الأخلاق الباطنة .

ويكون في الأفعال .

- فأما جمال الخلقة : فهو أمر يدركه البصر ويلقيه إلى القلب متلانا ،  
فتتعلق به النفس من غير معرفة بوجه ذلك ولا نسبته لأحد من البشر .
- وأما جمال الأخلاق : فكونها على الصفات المحمودة ، من العلم  
والحكمة والعدل والعفة ، وكظم الغيظ ، وإرادة الخير لكل أحد .
- وأما جمال الأفعال فهو وجودها ملائمة لمصالح الخلق ، وقاضية لجلب  
المنافع فيهم وصرف الشر عنهم . ( ٨ ) .

( ٨ ) تفسير القرطبي ٤٧/١٠ عند آية سورة النحل السادسة .

وهذا الانتباه ما جاء عن تكلف ، وإنما الذي يرقق الإيمان أحاسيسه ويقوم موازينه يشرع يدرك أن كتلة الجمال في العالم واحدة ، وأن الذي خلق الخلاق هو الذي خلق أفعالها كذلك ، فمنها حسنٌ وقبيح ، وبينهما قلبٌ جلي ينبض ، أو منكوس غلقه الرين أسود مُجْحِيًا تنهكه الوسواس ونوايا السوء .

ثم هو المنهج الرباني في تشبيه الكلمة الطيبة ، التي هي عنوان الأخلاق وصلاح القلب ، بالشجرة الطيبة ، فقام الرباط ، واتسع المفهوم ، ونأست العلاقة ، وذلك قوله تعالى : { لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } (٩) .

وقد تعددت أقوال المفسرين أنها النخلة .

( فالإيمان ثابت في قلب المؤمن ، وعمله وقوله وتسبيحه عالٍ مرتفع في السماء ارتفاع فروع النخلة ، وما يكسب من بركة الإيمان وثوابه كما يُنال من ثمرة النخلة في أوقات السنة كلها ، من الرطب والبُسْر والبلح والزهو والتمر والطلع . ) (١٠) .

والمنطق في ذلك ، والأصل الجامع : الحب الأخوي في الله تعالى بين المؤمنين ، وهو بين الدعاة أخص وأعمق ، وكان الرعيل الأول من رجال الدعوة المباركة أشد حرصاً على بذله بينهم ، وأكثر انفعالا به ، وترجمة له في يومياتهم ، مما جعل الأستاذ سعيد رمضان رحمة الله عليه يطيل التغني به في آخر تذكره كتبها قبل موته لرواد المركز الإسلامي في جنيف ، واستوقفه كيف أن النبي ﷺ ( يجعل عاطفة القلب في أداء حقوق الأخوة أصلاً لا يتم الإيمان بدونه ، وليست فضلاً يتفضل به الأخ على أخيه ، فيقول : { لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه } ، متفق عليه . ومن المشاهد العذبة التي تستثير كوامن العاطفة وتوثق أواصر الحب ما ورد عنه ﷺ في قوله : " أن رجلاً زار أخاً له في الله ، فأرصد الله ملكاً فقال : أين تريد ؟ قال : أريد أن أزور أخي فلانا . فقال : لحاجة لك عنده ؟

(٩) إبراهيم ٢٥/

(١٠) للقرطبي في تفسيره ٢٣٧/٩ .

قال : لا . قال : فيم ؟ قال 'أحبه في الله . قال الملك : فإن الله أرسلني إليك بأنه يحبك لحبك إياه ، وقد أوجب لك الجنة . " . رواه مسلم . ) .

قال رحمه الله : ( أرأيت يا أخي كيف كانت " مادة الحب " في مدرسة الإسلام الأولى ، وفي أستاذها الأكبر صلوات الله وسلامه عليه ؟ ) .

( إن الحقائق الكبيرة التي بلغها رسول الله ورثي عليها جيله الأول هي وحدها الركائز التي يجب أن يقوم عليها مجتمعنا الجديد ، ولن يستقيم بغيرها طريق . إن الحق هو الحق ، والنفوس هي النفوس . ) .

ثم نتفرع خصال الأخلاق الجميلة :

وأولها الحلم ، بعد العلم ، وإنما يأتيه من يتذوق الفن .  
وذلك قول الشاعر :

العلمُ والحلمُ خَلْتَا كَرَمَ  
للمرءِ زِينٌ إِذَا هُمَا اجْتَمَعَا  
صَنَوَانٌ لَا يُسْتَتَمُ حُسْنُهُمَا  
إِلَّا بِجَمْعِ ذَاوَدَاكِ مَعَا (١١) .

وأما أنا فأحِبُّ أن أرويه إذ نحن نمرح في أفاق الجمال :

الفنُّ والحلمُ خَلْتَا كَرَمَ .....

ومن تمام ذلك 'خُلِقَ العفو ، ثم من تمام الصفح : أن لا تعود إلى ذكر جريرة من أخطأ معك بعد عفوك عنه ، بل تقتدي بيوسف عليه السلام حين قال لإخوانه: { وَكَيْدَ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ } .

قال القرطبي : ( ولم يقل : من الجُب ، استعمالاً للكرم لنلا يُذكر أخوته صنعهم بعد عفوه عنهم بقوله : لا تتريب عليكم . ) .

ثم صحح القرطبي قول من قال : ذكر الجفا في وقت الصفا : جفا .  
قال : ( وهو قول صحيح دل عليه الكتاب . ) (١٢) .

( ١١ ) تفسير القرطبي ١٨٦/٩ .

( ١٢ ) تفسير القرطبي ١٧٥/٩ .

ومن جمال الأخلاق : الحياء ، وما يؤدي إليه من تواضع وخفض  
لجناح ، ويسر التعامل وطلاقة الوجه .

ونقل الدكتور سعيد رمضان رحمه الله وصف جرير بن عبد الله البجلي  
ﷺ لأنماط تعامل النبي ﷺ بقوله : ( ما حجني رسول الله ﷺ قط منذ  
أسلمت ، ولا رأني إلا تبسم . وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم  
ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ، ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة  
والمسكين ، ويعود المرضى في أقصى المدينة ، ويقبل عُذْر المعتذر . )

ثم وصف أنس ﷺ لتواضع النبي ﷺ وقوله : ( ما أخذ أحد بيده فيرسل  
يده حتى يُرسلها الأخذ ، ولم يمد ركبته بين يدي جليسه قط ، وكان يبدأ من  
لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة ، ويُكرم مَنْ دخل عليه ، وربما  
بسط له ثوبه ، ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها  
إن أبى ، ويكفي أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ، ولا يقطع  
على أحد حديثه . ) (١٣) .

وكان أئمة السلف على جانب عظيم من هذه الآداب التي بلغتهم ، وما  
نالوا مكانتهم في سيادة المسلمين إلا لأنهم تخرجوا من مدرسة الحب  
والحياء ، حتى إن الفضيل بن عياض رحمه الله يروي أنه وأقرانه ما كانوا  
يواجهون مشايخهم العلماء مواجهة ، لما هناك من حياء ويقول : ( كنا نأتي  
المشيخة فلا نرى أنفسنا أهلاً للجلوس معهم ، فنجلس دونهم ونسترق  
السمع ، فإذا مرّ الحديث : سألناهم إعادته وقيدناه . ) (١٤) .

واليوم يتعلم الشباب ثلاث مسائل ، فيروح يعاند العلماء ويطويل  
الاعتراض ويرفع الصوت .

في حين أدركتْ بعض مشايخي يملكهم الحياء العياضي ، فيتواضعون  
لتلاميذهم إذ هم في مقام التمكن والامتلاء ، أي لأبعد من مذهب الفضيل  
وصحبه ، مبالغة في تعليم الحياء .

ونلك جعلني أفهم أن الداعية المسلم في منزلة مستقلة ، فهو دون  
الملاكمة ، ولكنه فوق العلة من الناس ، ولذلك لا تليق له إلا الرقة ،

(١٣) نشرة عنوانها " مادتنا الحب " صادرة عن المركز الإسلامي في جنيف .

(١٤) تفسير القرطبي ١٩/١ .

وفرط الحساسية ، والنزاهة ، والجماليات المرهفة ، والطويات ، واللفظ العذب الشعري ، وطرائق اللين ، حتى يكون أشد حياء من العذراء في خدرها .

وما شئت يوماً من الأيام شيخي محمد بن حمد الصّافي نتذاكر بعض حديث العلم ، وكان من أعيان الناس من أهل نجد الذين سكنوا مدينة الزبير قرب البصرة ، وكان أبوه رئيس التجار ببغداد في أواخر العهد العثماني ، وكنتُ شاباً في عمر أصغر أبنائه ، فأوصلنا الحديث إلى ذكر أبي هلال العسكري اللغوي ، وقرره وعفاه ، ورويتُ بيت شعره المشهور الذي يهجو به كل الناس لعدم التفاتهم إلى فضله واضطراره إلى أن ينزل السوق يبيع البقول ليعيش ، فقلت :

الأمر أيها الشيخ كما قال أبو هلال :

جلوسي في السوق أبيع بقلًا  
دليل على أن الأنام قرود

هكذا ، على طريقة شاب مستعجل لم يكتمل علمه ، إذ البيت غير موزون ، وكان بإمكان الشيخ أن يردني ويقول : أخطأت ، ويربكني ، ولكنه كان رحمه الله عالي الأخلاق ، فقال في تواضع :

هذه روايتك ، أما أنا فأرويه :

جلوسي في السوق أبيع واشتري  
دليل على أن الأنام قرود

فانتبهت إلى ورطتي ، لكنني انتبهت أيضاً في نفس الوقت إلى عذوبة استدراكه ، ورفقه بي ، ومداراته التربوية ، وظلّ موقفه ذلك أسراً لي حتى الآن .

وهو بذلك التنبية الرقيق يرسم للدعاة منهج الحوار وأدبه : أن نختار من الألفاظ أجملها ، من غير استفزاز وإحراج وعدوان ، إذ التحديات إنما هي شغل الجاهلي ، ورفع الصوت والهيجان منكور عن أبناء الأسواق لاعتناء أبناء العوائل الرفيعة وأهل الأصول والنسب الشريف وسُمعة الخير والستر ، والمفروض أن يتواصى المجتمع الدعوي كله بالحفاظ على هذا الأسلوب الراقي في التعامل والنقاش والرد والرفض ، فان الجدل الإيجابي

من كل حرف غليظ ، ويكون مؤدباً حقاً في الزمن الشرس ، ثم يترحم معي على العسافي ورهط المشايخ الذين علمونا ، وأتقنوا مهمتهم بوفاء ، عسى ولعل يكون منا التوريث واستمرار السند الرفيع .

• ومن مكارم الأخلاق : بر الوالدين ، والإنصات للآية الكريمة :  
{ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ }

قال القرطبي : ( هذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما والتنزل لهما )  
( وضرب خفض الجناح ونصبه مثلاً لجناح الطائر حين ينتصب بجناحه لولده . والذل هو اللين . ) .

( فينبغي بحكم هذه الآية أن يجعل الإنسان نفسه مع أبويه في خير ذلة ، في أقواله وسكناته ونظره ، ولا يُجِدَّ إليهما بصره ، فإن تلك هي نظرة الغاضب )<sup>(١٥)</sup> .

وقوله ( من الرحمة ) :

( لبيان الجنس ، أي أن هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنة في النفس ، لا بأن يكون ذلك استعمالاً ) .

قال تعالى :

{ وَإِنَّمَا تَعْرَضُونَ عَنْهُمْ إِنبِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا } .

( وهو تأديب عجيب وقول لطيف بديع ، أي لا تعرض عنهم إعراض مستهين ، عن ظهر الغنى والقدرة فتحرمهم ، وإنما يجوز أن تعرض عنهم عند عجز يعرض وعائق يعوق ، وأنت عند ذلك ترجو من الله سبحانه وتعالى فتح باب الخير لتتوصل به إلى مواساة السائل ، فإن قعد بك الحال : فقل لهم قولاً ميسوراً ) .

( أي أحسن القول وايسط للعذر ، وادع لهم بسعة الرزق ، وقل : إذإ وجدت فعلت وأكرمتم )<sup>(١٦)</sup> .

(١٥) تفسير القرطبي ١٥٩/١٠ .

(١٦) تفسير القرطبي ١٦٢/١٠ .



و ( عقوق الوالدين : مخالفتهما في أغراضهما الجائزة لهما ، كما أن برهما : موافقتهما على أغراضهما . وعلى هذا : إذا أمرا أو أحدهما ولدهما بأمر : وجبت طاعتها فيه ، إذا لم يكن ذلك الأمر معصية ، وإن كان ذلك المأمور به من قبيل المباح في أصله ، وكذلك إذا كان من قبيل المندوب .

وقد ذهب بعض الناس إلى أن أمرهما بالمباح يُصَيِّرُهُ في حق الولد مندوبا إليه ، وأمرهما بالمندوب يزيده تأكيدا في نُدْبِيَّتِهِ .

وللام الحصة الراجعة من البر :

و(من الإحسان إليهما والبر بهما إذا لم يتعين الجهاد إلا يجاهد إلا بإذنتهما).

و ( من تمام برهما صلة أهل وُدِّهما ) (١٧).

ولا نقل : تتولى مواظب الداعية تعليمنا ما يتعلم الطفل في المدرسة الابتدائية ، فإن العقوق موجود ، والصراحة حميدة ، فإن كنت باراً فاحمد الله أن هداك ، وبالغ .

• ومن الرؤية الدعوية لجمال الأخلاق : الإلتباه إلى النسبية في معنى التعاون على البر والتقوى ، وأنه سبيل لتحصيل التكامل بين جهود المسلمين ، كما نقل القرطبي عن الفقيه ابن خويز منداد البصري المالكي انه قال في كتابه " الأحكام " :

( التعاون على البر والتقوى يكون بوجوه :

- فواجب العالم أن يُعِين الناس بعلمه ، فيعلمهم .
- ويعينهم الغني بماله .
- والشجاع يشجاعته في سبيل الله . ) (١٨) .

وعلى هذا المعنى قامت النظرية الدعوية الإسلامية المعاصرة ، وهو ممكن القوة والبركة في العمل الجماعي ، ولا يدرك ذلك تمام الإدراك إلا ممارس جرب التنسيق واستثمار القابليات المختلفة في عمل موحد ،

(١٧) تفسير القرطبي ١٠/١٥٦/١٥٧ .

(١٨) تفسير القرطبي ٦/٢٢٦ .

والفردى من الصالحين مدعو لأن يتق بمن سلك قبله وجرّب فيلتحق ويعبر لمراده من الطريق الأقرب ، وذلك أن إنهاض الأمة ومصادمة الفساد تحتاج إلى محيط دائري تتوزع على نقاطه التخصصات الأربعين ، وتستقر في المركز مفاصل للتنسيق ، وقد سمى هذا الفقيه المالكي منهم ثلاثة : العالم ، والغني ، والمجاهد الشجاع ، وترك لناهتك أن تتعرف على سبع وثلاثين ، فيهم الفنان ، والسياسي ، والإعلامي ، والمؤرخ ، والشاعر ، والمفكر ، والإغاثي ، والبرلماني ، والنقابي ، في آخرين ، ولن تحصل أمانى الفردى على شيء من جهد أحدهم ، لكن للتواصي بالبر والتقوى إذا انتظمته خطة فإنه حري أن يرضى التطلعات ويؤثر في الواقع ويؤرخ ويحل وفقاً لمعادلات الفيزياء ، فاقنطض على نفسك ، وتحرر من وهمك القديم ، ومن تخذيلاتٍ دعائيةٍ موجهةٍ أقعدتك عن الخير وأخرتك عن الواجب ، وطريق الإستدراك أن تعجل الجلوس إلى جارك أو ابن عمك ، تطلب محلاً في الأرهاط الدائبة الأربعين ، وسوف تجدنا غير غاشين لك ولغيرك ، ولن نعقد معك صفقة قبل أن نخبر ما هناك وتجرب ، لكن كن حليماً ، واغفر لنا اللمم : تجد وراءه كباثر من الخير الصافي والتاريخ الناصع ، ثم الله يتولانا وإياك والمستركين .

### □ لنفسى نقاها ..... أو ..... عليها فجورها

والموعظة دائمة لك أخي ..... أن تخرج من الشك إلى اليقين ، ومن الكسل إلى الحركة ، ومن الاعتزال إلى المخالطة ، ومن التفرّد إلى الجماعية ، فإن الحياة أضحت ذات تعقيد ، والتأاس في سباق ، يتنافسون ، فاتقل قدمك إلى عرصة الدعوة ليكون شيء من تعجيل ، فيحملك التيار بدل أن تكون الناقى ، والأمر أبسط من أن تضع له شروطاً ، إنما هي عزيمة فحسب ، تعزما فإذا أنت خلقٌ آخر ، مباشرة ، هاء بهاء ، وتدخل حياة ذات بهجة ومنهجية ووعي ، تتميز بصراطها الأعظم المستقيم .

وهذه النقطة ستساعد صاحبها بإذن الله على أن يحقق التحلي بجمال الأفعال ، الذي هو الشطر الثالث من معاهد الجمال ، بما في الحياة الجماعية من خيرات التواصي بالحق ومردود التعاون على البر .

● وجامع ذلك : التقوى .

ويسألني كثير من الدعاة عن تقصير في النوافل والسنن يشعرون به ، زاحمتهم عليها الواجبات الدعوية الثقيلة ، وكثرة التحرك ، والإداريات والعلاقات العامة ، ويرغب هؤلاء أن يأنسوا بركعات أكثر ، وتلاوة أطول ، ولكنهم لا يستطيعون .

وكان جوابي دائماً أن المؤمن مطالب بأمرين :

- بالتعب بعد الفرض ، والإكثار من السنن ، وإطالة اللبث في المسجد .
- ثم هو مطالب ثانياً بالتقوى ، بكف نفسه عن المحرمات ، من الكبائر مثل الزنا والربا وعقوق الوالدين ، أو أنواع المعصية التي هي أصغر ، مثل مقدمات الكبائر ولو أحققها ، في أنواع كثيرة حتى تصل إلى قلة المبالاة بأسباب الوضوء ، مثلاً ، أو نبرة قاسية في الكلام ، أو تكبير على مستضعف .
- والذي أفهمه من قواعد الشرع وبلت عليه تجربتي أن الأهم هو هذه التقوى التي يمتنع بها المؤمن عن مقارنة السوء ، وهي مقدمة على ممارسة النوافل وأثرها أعظم ، والتوفيق الذي يجرؤه الداعية في أعماله الدعوية أو في حياته الخاصة ، بحيث يصيب النجاح أو يتوسع له الرزق : إنما هو نتاج هذه التقوى غالباً ، وبها يُشاد الأساس ، ثم ترفع النوافل جدران توفيقه على هذا الأساس .

ولا تحسبن أن اكتشاف هذا الميزان جاء سهلاً سريعاً ، فإن كل مؤمن قد يقول ذلك ، ولكن درجة الإيمان بهذه الحقيقة تختلف ، وتظل قناعاته تزداد حتى تتحول إلى يقين راسخ بجريان هذا الميزان وحكمه لحركات الحياة ، فيكتشف بالتجربة اليومية أن الله يراقب عباده ، فيجازي المحسن والمسيء أولاً بأول ، وتحصل له قصص في ذلك على مدى ساعاته ، ما أن يحصل له سوء ويفحص سلوكه إلا ويجده متعلقاً بمعصية اقترفها من قريب ، أو فضل إلا ويجده من آثار امتناع عن معابة تحاشاها .

### □ الدعاء رموز الجمال

ومبحثنا جمالي ، ولذلك أحب أن أنتقي من أفعال الإيمان التي كلها جميلة المعنى أفعالاً تضع لمساتها الجمالية على شخصية الداعية مباشرة ، وقد يكون المؤمن في غفلة عنها ، أو يتوهم فضيلة ما يعاكسها ، على

في الإبتدال معنى إيمانياً ، وينحرف بمفهوم "اخشوشنوا"  
لما لا يعرفه عُرف المؤمنين الذين هم باعة الجمال وأولياؤه وحُماته .

فحين ذكر البخاري السنن في قصّ الشارب ، والسواك والإستنجاء  
وغسل الجمعة : قال ابن حجر :

( ويتعلق بهذه الخصال مصالح دينية ودنيوية تترك بالتتابع ، منها :  
تحسين الهيئة ، وتنظيف البدن جملة وتفصيلا ، والاحتياط  
للطهارتين ، والإحسان إلى المخالط والمقارن بكف ما يتأذى به من  
رائحة كريهة ، ومخالفة شعار الكفار من المجوس واليهود والنصارى  
وعباد الأوثان ، وامتنال أمر الشارع ، و المحافظة على ما أشار  
إليه قوله تعالى : { وَصَوِّرْكُمْ فَأُحْسِنَ صُورَكُمْ } ، لما في المحافظة على  
هذه الخصال من مناسبة ذلك ، وكأنه قيل : قد حسنتُ صوركم فلا  
تشوهوها بما يقبحها ، أو : حافظوا على ما يستمر به حسنها ، وفي  
المحافظة عليها محافظة على المروءة ، وعلى التآلف المطلوب ، لأن  
الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة كان ادعى لاتبساط النفس إليه ، فيقبل  
قوله ، ويحمد رأيه ، والعكس بالعكس . ) (١٩)

وواضح أنه يدخل في ذلك جملة من السلوكيات الإجتماعية وأنب  
المجلس : فيكره للداعية أن يهز رجله إذا كان جالسا على كرسي في  
درس أو اجتماع ويظل يهزها طويلا ، فإن ذلك عيب ويقلق بقية  
الحاضرين ، وهي علامة على ضعف الشخصية وقلة الإنتباه وانشغال  
البال بأمر غير ما انعقد للدرس أو الإجتماع لأجله .

وكذا وضع رجل على أخرى بحضرة العالم والنبيل والرئيس ، فقد  
كان ذلك من المنكرات في الأجيال الماضية ، ثم أخذ الجيل الحاضر عن  
الأمريكان .

" و شفت " المشروب بإحداث صوت عيب ، وإذا علم الداعية عند  
خروجه من بيته صباحا أنه سيمشي كثيرا خلال النهار ، فليأخذ معه  
جوربين آخرين يلبسهما حين اجتماع المساء وصلاة المغرب والعشاء ،  
لنلا يؤذي من هناك بالرائحة الكريهة .

(١٩) فتح الباري ٤٥٨/١٢ .

وفي التقرير الميداني بقية إرشاد لك .

● والتجمل بالثوب الحسن من سنن الإيمان ، يقول تعالى :  
{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ }

وقد ( دلت الآية على لبس للرفيع من الثياب ، والتجمل بها في الجمع والأعياد وعند لقاء الناس ومزاورة الإخوان .  
قال أبو العالية : كان المسلمون إذا تراءوا تجملوا . ) .

( وكان مالك بن دينار يلبس الثياب العنكبية الجياد ، وكان ثوب أحمد بن حنبل يُشترى بنحو الدينار .

أين هذا ممن يرغب عنه ويؤثر لباس الخشن من الكتان والصوف من الثياب ويقول : { ولباس التقوى ذلك خير } ؟  
هيهات ! أتري من ذكرنا تركوا لباس التقوى ؟ لا والله ! بل هم أهل التقوى وأولو المعرفة والنهي ، وغيرهم أهل دعوى . ( ٢٠ ) .

بل وتزيين البيت أيضاً لمن استطاع ، والفقير منا إذا رأى آثار النعمة على أخيه يغيظه ولا يحسده ، ويعد ذلك إضافة جمالية للحياة الإسلامية لا ينكر عليها لما فيها من تعليم موازين الاعتدال وتلقينها معاني السواء لأفئس الزائرين والناظرين ، ويدعو الله ويعزم أن إن رزقه مثل أخيه ليفعلن مثله ويضيف معلماً واعظاً لإخوانه وعموم الناس .

وتلك هي الإيماء القرآنية في قوله تعالى :  
{ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامِكُمْ } .

ونقل القرطبي عن ابن العربي قال :  
( وهذا أمر انتشر في تلك الديار وعريت عنه بلادنا ) أي انتشر في جزيرة العرب وما حولها وترك في المغرب .

قال : ( فلا تضرب الأخبية عندنا إلا من الكتان والصوف ، وقد كان للنبي ﷺ كبة من أدم الطائف ، غلاء في القيمة ، واعتلاء في الصنعة ،

( ٢٠ ) للقرطبي في تفسيره ١٢٦/٧ .

وحسنا في البشرية ، ولم يعد ذلك ترفاً ولا راه سرفاً ، لأنه مما أمّنت الله سبحانه من نعمته و أذن فيه من متاعه ، وظهرت وجوه منفعته في الإكتنان والإستغلال الذي لا يقدر على الخروج منه جنس الإنسان) (٢١).

● لكن ساكن هذا البيت الجميل أحرى أن يجمع الجمال من أفاقه ليتوافقا ، وإلا كان النشاز الفاضح ، وهو ما يميز بيوت الدعاة عن بيوت المترفين الغافلين .

وركن ذلك : المروءة ، وأقل وصف الجمال الأخلاقي : حيازة شرط العدالة التي يكون بها المسلم ثقة مقبول الرواية والشهادة ، ثم يزداد جمالا إذا قبل الوظيفة الدعوية ، ثم يزداد إذا قدمه الدعاة وصدروه .

وقد عرف الفخر الرازي العدالة بأنها : ( هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعاً ، حتى تحصل ثقة النفس بصدقه . ويعتبر فيها الاجتنابُ عن الكبائر ، وعن بعض الصغائر : كالتطفيف في الحبة ، وسرقة باقة من البقل ، وعن المباحات القادحة في المروءة : كالأكل في الطريق ، والبول في الشارع ، وصحبة الأراذل ، والإفراط في المزاح .) (٢٢).

فإنظر إضافة المروءة والتنزه عن بعض الصغائر إلى شروط التوثيق ، لتعلم مدى حساسية موازيننا الإيمانية ، وأنا لسنا كالناس ، بل أعلى من خمس وتسعين بالمائة منهم ، ونحن مع بعض الأفاضل من العابدين وأصحاب الأصول نمثل الصفة ، ونحتل القمة ، لذلك نربأ بأنفسنا أن نرعى مع الهمل ، ونتعفف عن كثير مما انغمسوا فيه ، لأننا المرجع والمثال ورموز الجمال وبنا يقتدي أهل الهمم ، مما يحتم علينا أن نكون على صفاء ونقاء وأن نربي من معنا على العزائم والأذواق الرفيعة ودققنا المعروف والتعامل الشفاف وأخلاق السادة ، مع الكرم والحلم واللسان الطاهر والكف الندي المفتوح ، وأن نعظ الملتحق بنا مع أول خطوة أنه قد انتقل من كونه عامياً متساهلاً مع نفسه إلى مجتمع النخبة الراقية ، وأن عليه أن يتشدد ويراقب حركاته وسكناته .

(٢١) القرطبي في تفسيره .

(٢٢) المحصول في علم أصول الفقه ٤/٣٩٩ .

وكان الشاعر قد استعار لمدوحه لقب :

### " خدين المعالي "

قال ابن حجر :

(والنكتة فيه أنه جعله يشتهي معالي الأمور كما يشتهي غيره الصورة الجميلة .) (١٣) .

والخدين : الصاحب ، وليس إلا الداعية اليوم يستحق هذا اللقب ، إذ يحوم غيره حول السفليات ويرهن مستقبله الدنيوي والأخروي لدى مليحة من النساء لا تقوى لها ، تنبرج أو تلهيه عن عبادة وإصلاح وقضايا الأمة ، بينما الداعية يخلق في الأوج يكاد يتناوش الثريا ، وله مع كل إشراقه شمس عزمة بناء وغزوة خير .

ومكمن الحكمة هنا ، في مفاد هذا الظاهرة التي رصدها ابن حجر : أن تصرف الإنسان إزاء الجمال هو مثل تصرفه إزاء جميع النعم الربيقية التي خلقها الله لعباده ، فمنهم شاكر ومتبطر ، ومعترف ومنكر ، فالجمال في نفس ذاته نعمة من أتم النعم ، وهو زين كله ، ويمنح صاحبه البهاء والطلعة المؤثرة التي تأسر المقابل وتدعه يحترم ويداري المثال الجمالي الذي ينتصب أمامه ، وإن رآه المرء في المخلوقات اطمانت نفسه ودخل عليه سرور ، فهو عامل من عوامل التربية النفسية بلا شك ، لكن نعمة الجمال هذه يمكن أن ينحرف بها أهل الهمم الواطنة ، فيتخونها وسيلة لإشباع شهوة ، ويصغرون معناها الكبير ، ويضيقون حقيقتها الواسعة ، ويخرجون بها إلى سلب إذ يليق الإيجاب ، ولربما ارتكبوا الظلم خلال ذلك .

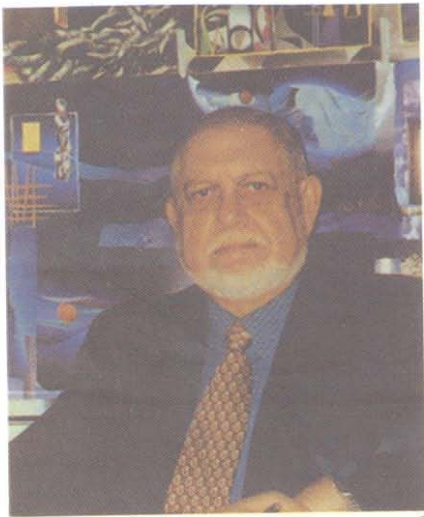
فالجمال من معالم الهداية والموعظة والتربية ، لكن إنما يتعامل معه القلب السوي لا المقلوب ، وهذه الحقيقة ترجع بقضية الجمال إلى أن تكون قضية إيمانية محضة ، لا يؤهل للإمامة فيها والقيادة وإنشاد شعرها والتقني بمضامينها غير مؤمن عامر الفؤاد نقي الجنان ، وأما الكافر والعاصي والجاهل والظالم فإنما يحومون في المحيط الأبعد ، ولا يستطيعون مقاربة مركز الجمال ، إذ المركز حكر لمثاله شكور .

(٢٣) فتح الباري ١٥/١٦٦ .

- فلولا رفع الدعوة أذان الجمال مع أذان التوحيد في العرصات .
  - ولولا وقف شامخاً جميلاً من الدعوة عند كل تَنِيَّةٍ وَسَفْحٍ وَقَمَةٍ في آفاق الجمال الفسيحة الممتدة إلى غير نهاية يُعَلِّمُ الناس موازين الإيمان ويصلح القلوب والأذنوق والأخلاق والعقول .
  - ولولا اندركت المنهجية الدعوية أن الله تعالى جميل ...
- ❁... حب الجمال

74430





## محمد أحمد الراشد

مفكر إسلامي عراقي من قادة حركة الإخوان المسلمين العالمية وأحد قادة الحزب الإسلامي العراقي ولد ببغداد في 1938/7/8 عمل محامياً ، ثم صحفياً، وتفرغ للعمل الدعوي هاجر عام 1972 الى الكويت ، ثم الى الإمارات متخصص في حقل "فقه الدعوة الإسلامية ويدعو الى الشمول المعرفي والممارسة الحضارية عبر التربية الإبداعية والتخطيط والنشاط الدعوي صدرت له بالعربية أكثر من عشرة كتب ، من أهمها المسار " وهو في التخطيط التنظيمي الدعوي وكذلك العوائق والرقائق والمنطلق يعكف الان على تدوين "موسوعة معالم التطور الدعوي وتاريخ الجهاد في خمسة أجزاء و"حركة الحياة" رسائل كثيرة ضمن سلسلة "مواظع داعية

